قصة الملك العادل (ذي القرنين)



﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ ؛ قيل هو الإسكندر المقدوني وقيل غيره، سُمي بذلك لأنه وصل إلى مشرق الأرض ومغربها، وقيل له ذؤابتان كالقرون تبرز برأسه.

ذي القرنين ملِك صالح ؛ ﴿ إنّا مكنا له في الأرض وآتيناهُ من كل شيء سبباً﴾ ؛ أي كان يعمل بالأسباب التي يسخّرها الله له حتى مكّنه الله في الأرض.

استطراد : الإبتلاء يسبق التمكين ؛ سُئِل الإمام الشافعي رحمه الله : أندعو ربنا بالتمكين أم الابتلاء؟ فأجاب :"لا يكون التمكين قبل الابتلاء".

ولأنه كان عادلاً مكّنه الله في الأرض ﴿إنا مكّنا له في الأرض﴾ ووضع الله ثقة رعيّته فيه ﴿ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾.

لأنه عادل ﴿ قال أما من ظلم فسوف نعذّبه.. وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسراً ﴾؛ وهنا درس

وهذا درس لنا ، فمثلاً لا أحد يسأل الأب في البيت ، ولكنه ينبغي أن يراعي جانب العدل ، قد تكون امرأته ضعيفةً ، لا أهل لها ، فلا ينبغي أن يستطيل عليها ، إذا مكّنَ الله إنساناً في بيته لا ينبغي أن يحيف عن الحق ، وأن يتجاوز حقوق الآخرين ، أو المُعلّم في صف طلاب صِغار ينبغي ألا تضربهم جميعاً في ساعة غضب ، إذا مكنَّهُ الله من هؤلاء الطلاب ، أو مدير دائرة لو مكنّهُ الله من بضعة موظفين ينبغي أن لا يستطيل عليهم بقوته .

لمّا أقام العدل في مغرب الأرض توجّه إلى مشرقها ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴾؛ سِتراً أي أرض مستوية.

وجد هناك قوم جاهلون ﴿ وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ وقيل ليسوا جاهلين لكن كانت لهم لغة لا يفهمها ذو القرنين ، والأقرب جهلهم.

هؤلاء القوم شَكَوا لذي القرنين أمر يأجوج ومأجوج واستغاثوا به أن يوقف فسادهم ؛ ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ .

أراد القوم مكافئته على ما طلبوا منه من حماية من يأجوج ومأجوج ﴿ فهل نجعل لك (خرجاً) ﴾ ؛ لكنه أجابهم ﴿ ما مكّني فيه ربي خير ﴾ ؛ أي يكفيني كرم الله.

فلم يطلب منهم المقابل والأجر ، فقط طلب الرجال والمواد في بناء السد ﴿ فأعينوني بقوّة أجعل بينكم وبينهم (ردماً) ﴾ ؛ أي حاجزاً وسدّا يعصمكم منهم.

لمّا شرع في بناء السد استخدم الحديد والنحاس المنصهر ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ ؛ فكان السد قويّاً
﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾.

قال لما انتهى من بناء السد ﴿ هذا رحمة من ربّي .. وكان وعد ربي حقّاً ﴾ ؛ تواضع فلم ينسب الفضل لنفسه بل نسبها لله ، وتوحيد في تصديه وعد الله.

كانت هذه قصة (ذي القرنين) إن وُفّقت في الطرح فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.